العوامل البشرية المؤثرة إيجاباً وسلباً في نشاط أسواق الموانئ في مصر وبلاد الشَّام منذ قيام الدولة الفاطمية حتى نهاية الدولة المملوكية (٣٥٨-٩٢٣هـ/٩٦٨-١٥١٧م).

هـــانـــي حســـن أحمـــد حســـن (*)

تأثرت حركة أسواق الموانئ بعدة عوامل متباينة، وكان لبعض تلك العوامل آثارها السلبية على حركة الأسواق، فنتج عنها: أن تضاءلت أحجامها، وتوقفت حركة البيع والشراء بها، وارتفعت أثمان البضائع بها؛ بالإضافة إلى ما نتج عن ذلك بالضرورة من كساد لأسواقها(١)؛ وفي المقابل كان لتلك العوامل الطبيعية تأثيرًا إيجابيًا في بعض الأحيان، فنشطت أسواقها وراجت تجارتها؛ ولعل من أشهر هذه العوامل البشرية ما يلي: (اهتمام السلطة الحاكمة بالموانئ وعمارتها وعمارة مرافقها وطرق التجارة منها وإليها، وكذلك انعدام الأمن، وأيضًا الأوضاع السياسية المختلفة؛ بالإضافة إلى المكوس والضرائب والإعفاءات الضريبية).

تجدر الإشارة إلى أن البحث الذي بين أيدينا سيركز فقط على العوامل البشرية، والتي أثرت بشكل كبير على نشاط أسواق الموانئ سلبًا وإيجابًا، وفيما يلي شرح لأبرز تلك العوامل البشرية والتي أثرت علي حركة أسواق الموانئ في مصر وبلاد الشام منذ قيام الدولة الفاطمية حتى نهاية الدولة المملوكية (٣٥٨- ٩٢٣هـ /٩٦٨ – ١٥١٧م)، ومنها ما يلي:

العوامل البشرية المؤثرة في نشاط الأسواق:

تعتبر العوامل البشرية من العوامل التي أثرت تأثيرًا مباشرًا بالسلب أو بالإيجاب في نشاط أسواق الموانئ سواءً كانت مصرية أم شامية، ومن أهم تلك العوامل ما يلي:

أولًا: اهتمام السلطة الحاكمة بالموانئ وعمارتها وعمارة مرافقها وطرق التجارة منها وإليها:

الجدير بالذكر أن اهتمام الإدارة الحاكمة بالموانئ وعمارتها وتسهيل وتمهيد طرق وصول القوافل والسفن التجارية إليها، كان من شأنه أن يوثر بالإيجاب على

(*) من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [أسواق الموانئ في مصر وبلاد الشام منذ قيام الدولة الفاطمية حتى نهاية الدولة المملوكية (٣٥٨- ٩٢٣هـ /٩٦٨ – ١٥١٧م)]، وتحت إشراف: أ.د / ممدوح محمد حسن – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. أميمة أحمد السيد – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) عبده قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٣٣.

حركة الأسواق بها، ويساعد على انتعاشها ويجذب إليها التجار للتبادل التجاري وممارسة عمليات البيع والشراء.

فمثلًا نجد أن ابن جبير أشار إلى عناية بني أيوب ووزرائهم بإصلاح عامة الطرق من العراق إلى الشَّام، فحفروا بها الآبار واختطوا المنازل والاستراحات والفنادق، كما اهتموا بالفقراء المسافرين فبنوا لهم الفنادق لتكون إقامتهم بها بالمجان(١).

وكان الاهتمام بتمهيد طرق التجارة البرية والبحرية منها له الأثر الكبير على حركة أسواق الموانئ وازدهارها، أو ضعفها، أو انحسارها، والأمثلة على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن:

أسواق ميناء دِمْيَاط(٢) ازدهرت في العصر الفاطمي بشدة على حساب مثيلاتها في تِنيس(٣)، وأصبحت تأخذ مركز الصدارة بين أسواق موانئ مصر الشرقية، وساعد على هذا أن الفرع البيلوزي (الفَرَما) للنيل أخذ منذ ذلك الحين يضيق وتطمره الرمال ويفقد أهميته؛ بينما أخذ فرع دِمْيَاط يتسع وينطلق للبحر ويكثر استعماله خاصة وأن ميناء دِمْيَاط كان أقرب موانئ مصر لبلاد الشَّام(٤).

واهتم الفاطميون أيضًا بميناء أَيْلَة(٥)، ولذلك نشطت حركة التجارة الدولية القادمة من الشرق الإفريقي والمحيط الهندي في طريقها إلى الإسكَنْدَرِيَّة عبر ميناء

---

(١) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ت٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ص١٠٣.

(٢) دِمْيَاط: تقع علي شاطئ البحر المتوسط الذي يحدها شمالاً، وفي الجنوب منها الدلتا، ومن شرقها قناة السُوَيس، حيث تعد من إحدى المدن العريقة، والتي اشتهرت بصناعة أفخم أنواع الثياب كالثياب الدبيقية وغيرها. (الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مج٢، ص٤٧٢-٤٧٥).

(١) تِنيس: عبارة عن جزيرة على ساحل البحر المتوسط قريبة من البر، وتقع فيما بين الفرما ودِمْيَاط، وهي أَجَلُّ من دِمْيَاط واشتهرت تنيس بصناعة الثياب الملونة المعروفة باسم الشروب، وهي التي لا يصنع مثلها في أي مكان آخر داخل مِصْر أو خارجها. (الحموي: المصدر السابق، مج٢، ص٥١-٥٣).

(٤) المهلبي (الحسن بن أحمد المهلبي ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): الكتاب العزيزي (المسالك والممالك)، تحقيق: تيسير خلف، الطبعة الأولى، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٦م، ص٣٤؛ جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دِمْيَاط سياسيًا واقتصاديًا، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد، مصر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص١٥-١٦.

(٥) أَيْلَة: مدينة وميناء علي شاطئ البحر الأحمر فيما بين الفُسْطَاط ومكة، كما أنها تعتبر من أول الحجاز، وتقع أَيْلَة علي اللسان الشرقي لبحر القلزم وهذا اللسان هو خليج العقبة. (البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م): معجم ما استعجم من

الفُسْطَاط[١] على شاطئ النيل[٢]، وفي العصر المملوكي نجد أن سلاطين المماليك اهتموا بتعبيد الطرق وإنشاء الفنادق على طول الطرق في مصر والشَّام، وذلك خدمة لحركة التجارة الداخلية والدولية[٣].

كما أقام سلاطين المماليك في أَيْلَة ديوانًا للمكوس (للضرائب) في منطقة العقبة، وذلك لتمكيس السلع القادمة إليها بحرًا[٤]، حتى أن خراج أَيْلَة ووجوه الجبايات فيها بلغ ثلاثة آلاف دينار سنويًا[٥]؛ أما السلع القادمة بطريق القوافل من الجنوب العربي فكانت تمكس في (بويب العقبة) جنوبي أَيْلَة، وعينوا الحراس على الطرق حفاظًا على أمنها وسلامة المتنقلين عليها[٦]، كما بنوا بميناء أَيْلَة رصيفًا جديدًا خدمة لحركة السفن التجارية، وجدد هذا الرصيف وغيره من المنشآت في أَيْلَة من قِبل السلطان "قانصوه الغوري" (٩٠٦- ٩٢٢هـ/١٥٠١ – ١٥١٦م)[٧]

أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ج١، ص٢١٦-٢١٧؛ الحموي: المصدر السابق، مج١، ص٢٩٢-٢٩٣).

(١) الفُسْطَاط: مدينة وميناء على شاطئ النيل الشرقي، وسميت المدينة بالفُسْطَاط لأن سيدنا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) نصب فسطاطه أي خيمته هناك مدة إقامته، ولما أراد الرحيل وأمر بهدم الفُسْطَاط أُخبر بأن حمامة باضت بأعلاه فأمر أن يترك الفُسْطَاط لئلا يحصل التشويش للحمامة بهدم عشها وكسر بيضها، ولم يهدم حتي طير أفراخها، وقال : والله ما كنا لنسيء لمن جاورنا واطمأن إلي حمانا". (الحموي: نفس المصدر، مج٤، ص٢٦١-٢٦٢).

(٢) المقدسي (أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ١٩٠٦م، ص١٧٨-١٧٩؛ يوسف حسن غوانمة: أَيْلَة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، الطبعة الثانية، وزارة الثقافية، الأردن، ٢٠١٦م، ص٩٠.

(٣) الحميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م، ص٤٢٣- ٤٢٤؛ المقريزي (تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص٥٦٧.

(٤) السخاوي (أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م): كتاب البلدانيات، تحقيق: حسام بن محمد القطان، دار العطاء، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٢٨؛ يوسف غوانمة: أَيْلَة (العقبة) والبحر الأحمر، ص٩٢.

(٥) الحموي: معجم البلدان، ص٢٩٢.

(٦) ابن شاهين الظاهري (غرس الدين بن خليل الظاهري ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راوايس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٢م، ص١٠٨، ١٣٢؛ يوسف غوانمة: المرجع السابق، ص٩٢.

(٧) المقريزي: الخطط، ج٣، ص١٤٠؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د.ت)، ج٤، ص٢-٥؛ ج٥، ص١٠٢-١٠٣.

سنة (٩١٤هـ/١٥٠٨م)، وعهد السلطان إلى عدد من المهندسين والبنائين على رأسهم المهندس (خايربك المعمار) لإتمام هذا التجديد(١).

ولكي يسهل الوصول إلى أَيْلَة عن طريق سيناء قام السلاطين بإصلاح تلك العقبة الضيقة التي تنحدر من الجبال الشاهقة المحيطة بأَيْلَة، وفي سنة (٧١٩هـ /١٣١٩م) مهد السلطان الناصر محمد ابن قلاوون (٦٩٨-٧٤١هـ/ ١٢٩٩ - ١٣٤١م)(٢) عقبة أَيْلَة ووسع طريقها وأزال ما فيها من صخور فأصبح سلوكها سهلًا بغير مشقة، وقام بتوسيعها مرة أخرى وإزالة ما يعترضها(٣).

ثانيًا: انعدام الأمن وقيام الفتن والثورات الداخلية:-

شجع ضعف السلطة الحاكمة وعدم قدرتها على السيطرة على شؤونها الداخلية في الكثير من الأحيان بعض العناصر الداخلية للقيام بالفتن والثورات وأعمال السلب والنهب مستغلين الحالة التي تمر بها البلاد، مما أثر على نشاط أسواق الموانئ وحركة التجارة بصفة عامة؛ ولعل الأمثلة على ذلك كثيرة فمثال على حالة الأمن وتأثيرها على نشاط أسواق الموانئ ما جاء في وصف ناصر خسروا والذي زار مصر في النصف الأول من القرن (٥ هـ/ ١١ م)، فذكر أحوال الأسواق بميناء الفسطاط فقال(٤): "بأنه بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن جعل جعل البزازين(٥) وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم بل يسدلون الستائر عليها، ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده على شيء منها....".

---

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣.

(٢) السلطان الناصر محمد بن قلاوون: هو الملك الناصر ناصر الدين أبو المعالي محمد بن السلطان المنصور قلاوون، وهو التاسع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، جلس على كرسي السلطنة ثلاث ولايات مختلفة، فالولاية الأولى في سنة (٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م)، والولاية الثانية خلال الفترة (٦٩٨-٧٠٨هـ/١٢٩٩-١٣٠٨م)، والولاية الثالثة خلال الفترة (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤١م)، ويعد بذلك من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية، وخاض حروبًا ضد الصليبيين والمغول، وشهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطانٍ آخر من سلاطين الدولة المملوكية. (ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف بن سيف الدين بن تغري بردي الأتابكي ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م): مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،، ١٩٩٧م، ج٢، ص٤٥-٤٧، ٥٦-٥٨، ٦٤-٦٦؛ ابن إياس: نفس المصدر، ج١-ق١، ص٣٧٨-٣٨٠، ٤٠١-٤٠٢، ٤٣١-٤٣٣).

(٣) المهلبي: المسالك والممالك، ص٢١؛ يوسف غوانمة: المرجع السابق، ص٩٢، ٩٥.

(٤) ناصر خسرو قبادياني (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامة، ترجمة: يحيى شامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص١٢٤.

(٥) البزازين: ويقصد بهم تجار الثياب. (ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبقة بن منظور ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، مج١، ج٤، ص٢٧٤).

والجدير بالذكر أن استقرار الأوضاع الداخلية كان من شأنه أن ينعكس بالإيجاب على نشاط الأسواق وحركتها، وعلى عكس ما يكون عليه الأمر وقت الفتن والاضطرابات والثورات الداخلية، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها: ما حدث في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧- ٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٥م)[١]، وذلك في سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٨م)، حين استبد الجند بالأمر وأخذوا يغيرون على الوجه البحري، وقاموا بتحطيم الجسور والقنوات، فانقطعت المؤن والإمدادات عن أسواق الفُسْطَاط، وعدمت الأقوات واشتد الغلاء وانتشر السلب والنهب، فتأثرت الأسواق بشدة نتيجة لذلك[٢].

وخلال عام (٧٢٧هـ /١٣٢٦ م) قام تجار الفرنجة بفتنة كبيرة بميناء الإسكَنْدَرِيَّة واشتبك بسببها المسلمون والفرنجة في قتال عنيف، فأمر والي المدينة بغلق أسواقها وأبوابها، ولم يعد إليها النشاط التجاري إلا بعدما هدأت تلك الفتنة[٣]، وفي سنة (٧٦٧هـ /١٣٦٥م) قام أسطول القبارصة بمهاجمة ميناء الإسكَنْدَرِيَّة ونجحوا في اقتحامها وقاموا بنهب أسواقها ومتاجرها وحوانيتها والقياسر والخانات بما في ذلك فنادق الأجانب الموجودين بها وأعملوا السلب والنهب فيها[٤]، وفي أثناء سلطنة السلطان المملوكي حاجي بن محمد بن قلاوون سنة (٧٤٧-٧٤٨هـ /١٣٤٦-١٣٤٧م)[٥] قام عربان آل مهنا[٦] بأعمال سلب مستغلين الظروف السياسية

(١) الخليفة المستنصر بالله الفاطمي: هو المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لدين الله علي بن منصور الحاكم بأمر الله، وهو خامس خلفاء الدولة الفاطمية، بويع بالخلافة بعد وفاة والده وهو ابن سبع سنين وعشرين يومًا، واستمر في الحكم خلال الفترة من (٤٢٧- ٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٥م). (الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١٥، ص١٨٦-١٨٧، ١٩٥؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١-ق١، ص٢١٥).

(٢) النويري (شهاب الدين أحمد بن محمد النويري ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلي فواز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ج٢٨، ص١٤٥-١٤٧؛

Stanley Lane Pool: A History Of Egypt,London,1925,p.146.

(٣) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٣، ص٩٨-٩٩؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٩٩-٣٠١.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ج٤، ٢٩١-٢٩٢؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ الإسكندرية وحضارتها، ص٣٣٥-٣٣٦.

(٥) ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص٨٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١- ق١، ص٥١٣-٥١٥.

(٦) آل مهنا: هم آل مهنأ بن عيسى بن فضل، نسبت إليهم إمرة العرب في المناطق الشمالية لبلاد الشام في عهد الدولة المملوكية. (القلقشندي (عبدالله بن أحمد القلقشندي ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

المضطربة للبلاد بسبب شدة الجفاف الذي تعرضت له البلاد، فغاروا على مدينة حَماة[١]، وأتلفوا الزروع، واعتدوا على الطرق التجارية، ونهبوا القوافل وما تحمله من سلع تجارية، مما زاد في تردي الأوضاع الاقتصادية ونقص السلع في الأسواق وارتفاع الأسعار[٢].

كذلك من الأسباب التي ساعدت على انتعاش الحركة التجارية بأسواق حِمْص، هو حرص الحكام على تأمين الطرق وتعقب قطاع الطرق، وحينما قام العرب من آل مهنا بأعمال السلب والنهب وتعرضوا للتجار في المدينة قام السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٤م)[٣] بسجن إخوة أمير العرب من آل مهنا، وذلك لتعرضهم للتجار ونهب ما معهم، واشترط على آل مهنا عدم إطلاق سراحهم إلا بعد إرجاع ما نهبوه للتجار[٤].

وكثيرًا ما ثار العربان في مصر وبلاد الشَّام، وقاموا بمهاجمة القوافل التجارية والتجار، ونتيجة لذلك كانت الدولة تقوم بإعداد الحملات العسكرية لتأديبهم وتأمين طرق التجار من شرورهم، ومنها تلك الحملة التي وجهها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م) حينما خرجت العربان في صحراء عَيْذَاب[٥]، وقطعوا الطريق على التجار والمسافرين، فارسل لهم السلطان الناصر حملة كبيرة بقيادة مجموعة من الأمراء فحاصروهم وقتلوا عدد كبير من هؤلاء العربان ونهبوا إبلهم وخيلهم[٦].

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٧٦-٧٧).

(١) حَماة: من أنزه البلاد الشامية، وموقعها علي بعد مائة وعشرة ميلًا شمال شرق دمشق، ودخلت في حوزة المسلمين أيام فتوح الشام، وفي سنة (٥٠٢هـ /١١٠٨م) أستولي عليها الصليبيون ثم استعادها السلاجقة سنة (٥٠٩هـ / ١١١٥م)، واستردها صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م). (الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٦٧- ٦٨).

(٢) المقريزي: المصدر السابق، ج٤، ص٥٠.

(٣) الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م): هو الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي، وهو الثامن من ملوك الترك، وتولى الحكم بعد وفاة والده، وذلك في سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، وكان مولده في سنة (٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م)، وبعد أن أتم أمره في السلطنة تلقب بالملك الأشرف، واستمر على كرسي السلطنة حتى قتل في سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٣٩م). (ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص٤٢-٤٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١-ق١، ص٣٦٥، ٣٧٣).

(٤) العيني (بدر الدين محمود العيني ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٦٤.

(٥) عَيْذَاب: هي مدينة وميناء على ضفة البحر الأحمر جنوب مصر، ومنها المجاز إلي جده، ، ومرسي عيذاب جزيرة ليست بكبيرة، ومساكنها من حجاره، وهي مرسى السفن القادمة من اليمن للصعيد. (الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص١٧١).

(٦) المقريزي: السلوك،ج٢، ص٣٤٦.

ثالثًا: الأوضاع السياسية:-

تعتبر الاوضاع السياسية من أهم العوامل التي أثرت على نشاط أسواق الموانئ في فترة الدراسة، حيث اتضح من خلال المصادر التاريخية الآتي: أنه متى استتبت الأوضاع واستقرت حالة السلم ساعد ذلك على ازدهار حركتي التجارة والبيع والشراء داخل أسواقها، وذلك على عكس فترات الحروب والصراعات السياسية التي تؤثر بالسلب على حركة الأسواق ونشاطها، وذلك نتيجة لغياب الأمن والاستقرار، واللذان يمثلان أهم العناصر المؤثرة في نشاط الأسواق عامَّة؛ ولعل الأمثلة على ذلك كثيرة خاصَّة وأن المدن والموانئ الساحلية في مصر وبلاد الشَّام البحرية منها والنهرية كانت مسرحًا للعديد من المعارك والصراعات السياسية، والتي قامت بين القوي السياسية المتنافسة في تللك الفترة كالفاطميين، والأيوبيين، والمماليك، والصليبيين وغيرهم.

ففي سنة (٣٥٩ هـ /٩٦٩ م) دخل ملك الروم إلى طَرَابُلُس الشام[١]، فأحرق كثيرًا من منشآتها، وملك قلعة عِرْقَة[٢]، ونهبها وسبى أهلها، وكان في قلعتها صاحب طَرَابُلُس، وكان ظالمًا فأسرته الروم واستحوذوا على جميع أمواله[٣]، وفي أواخر سنة (٥١١ هـ / ١١١٧ م) خرج بلدوين ملك الصليبيين من بيت المقدس لغزو مصر بجيش جرار، فوصل ميناء الفَرَما[٤] واستولى عليها وذبح أهلها وأحرق جوامعها، وهمَّ أن يدخل مصر فداهمه مرض اضطره إلى العودة، فعاد قاصدًا بيت المقدس، وفي سنة (٥٤٨ هـ /١١٥٣ م) جدَّد الصليبيون هجماتهم على بلاد الشَّام ومصر، وهاجموا سواحل مصر وأحرقوا ميناء تِنيس ونهبوا الفَرَما، إلَّا أنهم لم يتقدموا أكثر من ذلك فأخذوا ما أمكنهم حمله من الغنائم وعادوا من حيث جاءوا[٥].

---

(١) طَرَابُلُس الشام: وهي مدينة جميلة على شاطئ البحر المتوسط، وبها أسواق حافلة جامعة، ومرساها مأمون من أكثر الرياح، وهي كثيرة الثمار والخيرات، وتتصل بالمدينة سبخة كبيرة يؤخذ منها الملح الكثير، ولم يكن بين المدينة والبحر سور، وكانت سفن البحر شارعة في مرساها إلى بيوت أهلها. (الحموي: المصدر السابق، مج٤، ص٢٥-٢٦).

(٢) ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) : البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١٥، ص٣٢٢.

(٣) ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) : البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١٥، ص٣٢٢.

(٤) الفَرَما: مدينة علي ساحل بحر القلزم من ناحية مِصْر. (المهلبي: المسالك والممالك، ص٣٦). ص٣٦).

(٥) عِرْقَة: بلدة في شرقي طرابلس الشام، وتبعد عن ساحل البحر نحو ميلين. (الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص١٠٩).

تجدر الإشارة إلى أنه في سنة (٥٤٥هـ /١١٥٠م) نزل الفرنج على ميناء الفَرَما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها[١]، ثم خربها الوزير الفاطمي شاور بن مجير السعدي (ت٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٢] لما خرج منها متوليها حوالي سنة (٥٦٠ هـ/١١٦٥م)[٣]، وفي سنة (٥٤٨ هـ /١١٥٣ م) هجم الفرنج على ميناء تِنيس في خمسين مركبًا وأخذوا جميع ما كان فيها، واستأمروا الأقوياء وقتلوا الضعفاء، وغنموا من الأموال مالًا كثيرًا[٤].

وفي سنة (٥٥٠ هـ/١١٥٥م) نزل لميناء دِمْيَاط نحو ستين مركبًا أرسلها حاكم صِقِلِّيَّة فنهبوا الأسواق وقتلوا الكثير من السكان، كما نزلوا ميناء تِنيس رَشِيد[٥] والإسكَنْدَرِيَّة، فأكثروا فيهم الفساد والقتل، وفي نفس السنة وصل الفرنج إلى ميناء دِمْيَاط وهم فيما يزيد على ألف ومائتي مركب، فنشبت الحرب لمدة خمسة وخمسين يومًا، وكانت صعبة وشديدة، واشتد الأمر على أهل دِمْيَاط وهم ثابتون على محاربة الفرنج، وفي سنة (٥٧٧ هـ/١١٧٩م) نزل الفرنج ساحل تِنيس واستولوا على مركبًا للتجار[٦]، وفي سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م) قام (أرناط صاحب الكرك) بمهاجمة ميناء عَيْذَاب فنهبه وأحرق المتاجر والأسواق وأخذ ما فيها من سلع تجارية، وأسروا مجموعة من التجار، وأحرق الكثير من الأطعمة الموجودة على ساحل عَيْذَاب، والتي كانت معدة ومدخرة للحجاج[٧].

---

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٠٥.

(٢) الوزير شاور: هو شاور بن مجير بن سوار بن عشائر بن شاش السعدي، وزير مصر في عهد الحروب الصليبية، وقد طلب مساعدة ملك دمشق نور الدين زنكي، وأرسل له أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي لإنقاذ مصر، وغدر بهما شاور بالتآمر مع الصليبيين فقتلاه.(النويري المصدر السابق، ج٢٨، ص٢٢٦؛ المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، المجلس الاعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص٢٤٥؛ الخطط، ج١، ص٩٣٢-٩٣٥).

(٣) نعوم شقير: المرجع السابق، ص٢١٠.

(٤) الداوداري (أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الداوداري عاش في القرن ٨هـ/١٥م): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، نشر المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م، ج٦، ص٥٦٣.

(٥) رَشِيد: بلدة ساحلية مصرية على نهر النيل في غربه، وتتصل بساحل البحر المتوسط شمالًا. (الإدريسي (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي الإدريسي ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: روبيناتشي، وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مجلدان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، مج١، ص٣٤٤).

(٦) المقريزي: السلوك، ج١، ص١٨٥؛ الخطط، ج١، ص٦٠٠.

(٧) المقريزي: السلوك، ج١، ص١٩٠؛ عطية القوصي (دكتور): تجارة مِصْر في البحر الأحمر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٥٤؛ عبدالغني عبدالعزيز زيادة: عيذاب في =العصر الوسيط ٤٦٠ - ٦٦٦ هـ / ١٠٥٧ -

وقام مجموعة من صليبي بلاد الشام في سنة (٥٧٩هـ /١١٨٣م) بمهاجمة ميناء عيذاب واستولوا على مركبًا لحجاج جُدَّة[١]، كما استولوا أيضًا على قافلة برية كبيرة كانت في طريقها من قُوص[٢] إلى عيذاب، وقتلوا جميع من بها، واستولوا على مركبين بهما تجار من اليَمَن، وأحرقوا وخربوا كثير من البضائع بميناء عيذاب[٣].

الجدير بالذكر أنه في عام (٥٨٧هـ/١١٩١م) حينما خَشي السلطان صلاح الدين من غدر الصليبيين ارتحل إلى ميناء عَسْقَلان[٤]، وقام بتخريبه خوفًا من أن يقع في أيديهم، ووزع أبراجه على الأمراء، فحزن أهله واغتموا حزنًا لخرابه، وذلك[٥]، وفي عام (٥٨٨ هـ /١١٩٢م) تم إخلاء ميناء تِنيس، ونقل أهلها إلى دِمْيَاط، فخلت تِنيس إلا من المقاتلة، فارتفعت أسعار السلع بسبب تعطل أسواق مينائها[٦].

نتج أيضًا عن سوء العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والمدن الإيطالية قيام الملك (العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب) بالقبض على ثلاثة آلاف تاجر من تجارهم ومصادرة أموالهم بميناء الإسكندرية، وذلك في سنة(٦٠٨هـ /١٣١١م)[٧].

تعرض كذلك ميناء عَيْذَاب للسلب والنهب علي يد ملك النوبة سنة (٦٧١هـ /١٢٧٢ م) بعد أن استغل انشغال السلطان الظاهر بيبرس بحروبه في أرمينية، فقام بالإغارة علي الميناء ونهب أسواقه ومتاجره وقتل عدد من أهله بما فيهم القاضي والوالي[٨]، وتعرضت أسواق ميناء دِمْيَاط خلال فترة الحكم المملوكي لحالة من الركود، وتأثرت بالسلب نتيجة لهدم المدينة وتخريبها من قبل المماليك بعد انتهاء

١٢٦٧ م (دراسة في الجغرافية التاريخية)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٧٤)، الجزء السابع، ٢٠١٤م، ص٣٥-٣٦.

(١) جُدَّة: فرضة مكة، وتقع شمالاً على ساحل البحر الأحمر، وقصدتها مراكب التجار من كل من مصر، وبلاد الشام، وشمال إفريقيا، وجنوب شبه الجزيرة العربية، وغيرها من البلاد، ووجد بها أسواق تجارية عديدة. (البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٣٧١؛ الحموي: معجم البلدان، مج٢، ص١١٤: ١١٥، ج٣، ص٣٥١).

(٢) قُوص: هي مدينة كبيرة وميناء صعيد مصر، وبينها وبين الفُسْطَاط مسيرة اثنا عشر يومًا. (المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج ٥، ص٤٠؛ كما وصفها ابن بطوطة بقولة بأنها: "مدينة عظيمة لها خيرات عميقة، بساتينها مورقة، وأسواقها مونقة". (ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ/١٣٨٠م): رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبدالهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب،١٩٩٧م، مج١، ص٢٢٨).

(٣) ابن جبير: الرحلة، ص٣٤.

(٤) عَسْقَلان: مدينة وميناء على ساحل بلاد الشام بالبحر المتوسط. (المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٧٤).

(٥) المقريزي: السلوك، ج١، ص٢٢٠.

(٦) المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص٢٢٥.

(٧) المقريزي: نفس المصدر، ج١، ص٢٩٤.

(٨) ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م): تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٢.

الحملة الصليبية السابعة (٦٤٨هـ/١٢٤٨م)، وذلك بسبب النزاع بين الأيوبيين والمماليك، وخوف المماليك من انتهاز الفرنج لتلك الفرصة والعودة مرة أخرى إلى المدينة واتخاذها طريقًا لتهديد البلاد المصرية(١).

تجدر الإشارة أن السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)(٢) أمر عام (٦٦١ هـ/ ١٢٦١م) بسد مصب النيل الشرقي بدِمْيَاط عن طريق إلقاء الحجارة به، وذلك لمنع دخول المراكب الكبيرة لدِمْيَاط لحمايتها من الخطر الصليبي، وبالتالي لم تستطع المراكب الكبيرة من الدخول إلى مينائه لنقل بضائعها، فاضطروا إلى نقل البضائع المتواجُدَّة في المراكب الكبيرة باستخدام مراكب نيلية تعرف (بالجروم(٣))؛ بينما تظل المراكب الكبيرة واقفة قريبًا من ملتقى النيل بالبحر المتوسط(٤)، وفي سنة (٧١٦هـ /١٣١٧م) تم أسر عدد من التجار بميناء عيذاب على على يد بدو صحراء عيذاب، بالإضافة إلى أخذ ما معهم من أموال وبضائع(٥).

كذلك الأمر في ميناء الإسكَنْدَرِيَّة، فبعد طرد الصليبيون نهائيًا من بلاد الشَّام حاول الأوروبيون تجديد هذه الحروب، ففي سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٥م) أغار على الإسكَنْدَرِيَّة أسطول ضخم من جزيرة قُبْرُص، واستطاعوا أن يستولوا عليها، ولبثوا بها أيامًا بعد تخريبها تخريبًا تامًا، ثم عادوا لبلادهم محملين بالغنائم والأسلاب(٦)،

(١) النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص٢٢١-٢٢٢؛ جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دِمْيَاط، ص٤٠؛ سماح سمير شفيق بدوي: الأهمية التاريخية والاقتصادية لميناء دِمْيَاط القديم، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراء والمعرفة، العدد (٢٢٥)، ٢٠٢٠م، ص٢٤٠.

(٢) الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م): هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلاي العلاي البندقداري الصالحي النجمي، ولد سنة (٦٢٠ هـ /١٢٢٣م)، وهو تركي الأصل من بلاد القبجاق، وهو الرابع من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، تولى السلطنة سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م) خلفًا للسلطان قطز، وذلك بعدما قتله بعد معركة عين جالوت، وفي سلطنته سنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م) وقع الغلاء بالديار المصرية، وشح النيل، وعدمت الأقوات، واستمر في السلطنة حتى مات في سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م). (ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج٢، ص٣٣-٣٤؛ ابن إياس: بدائع الزهور،ج١-ق١، ص٣٠٨-٣٠٩، ٣١٩، ٣٣٨).

(٣) الجروم: نوع من أنواع سفن النقل الكبيرة، والمخصصة لنقل الحبوب والبضائع عامة، وهي من أضخم الزوارق المصرية التي تستعمل في نهر النيل، ولكنها لا تسير إلا في وقت الفيضان، وتستخدم في نقل المتاجر الساحلية. (المقريزي: السلوك، ج٢، ص٥١٦؛ درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، نشر جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص٢٢).

(٤) سماح سمير الأهمية التاريخية والاقتصادية لميناء دِمْيَاط القديم، ص٢٤١؛ شوقي عبد القوي عثمان حبيب (دكتور): التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٧٧.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ص٥١٦.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق، ج١-ق٢، ص٢٢-٢٣.

الأمر الذي أثر عليها بشدة فضعف شأنها منذ ذلك الحين ولم تعد لها مكانتها الأولى، وأصبحت دِمْيَاط هي الميناء المصري الأول(١).

تأثرت أيضًا حركة أسواق الموانئ المصرية بشدة نتيجة لغياب الأمن وعبث الفرنج بشواطئها في أواخر العصر المملوكي، وتوقفت حركة الصادر والوارد بها، وهو ما أكد عليه ابن إياس في حوادث سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤) فذكر أن(٢): "بندر الإسكَنْدَرِيَّة خرابًا، ولم تدخل إليه القطائع في السنة الحالية، وبندر جُدَّة خرابًا بسبب تعبث الفرنج على التجار في بحر الهند، فلم تدخل المراكب بالبضائع إلى بندر جُدَّة نحو من ستة سنين، وكذلك جهة دِمْيَاط...".

ولم يختلف الأمر كثيرًا في أسواق موانئ بلاد الشَّام، فعانت من التخريب والنهب والسلب خلال فترة الصراع بين الصليبيين والمسلمين، وذلك عن طريق الغارات والهجمات المتبادلة بين الطرفين على سواحل مصر وبلاد الشَّام، ولم ينته هذا الصراع بعد استرداد المسلمين لعَكّا(٣) (٦٩٠هـ /١٢٩١م) بل أتخذوا من قُبْرُص قاعدة لتوجيه غاراتهم إلى سواحل مصر والشَّام(٤).

فضلًا عما سبق يلاحظ أن هناك تخريبًا آخر عانت منه بعض موانئ بلاد الشَّام، وذلك نتيجة لهجمات المغول أو التتار، ويذكر في ذلك هجومهم على صَيْدا(٥)(٦٥٨هـ/١٢٥٩م) حيث قاموا بتخريب الميناء؛ بالإضافة إلى المدينة، وذبحوا من وجدوه من أهلها ونهبوا الأسواق والمدينة، ولم ينسحبوا منها إلا بعد أن أضرموا النيران في مساكنها وحولوا المدينة إلى كومة خرائب وأنقاض(٦).

تعرضت كذلك الكثر من الموانئ الشَّامية وأسواقها للتخريب والتدمير والنهب نتيجة للصراع الإسلامي الصليبي، ويذكر أنه في سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، وبعد أن نجح المسلمون في استرداد طَرَابُلُس من أيدي الصليبيين(٧) أمر السلطان المملوكي

---

(١) جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دِمْيَاط، ص٤٧.

(٢) بدائع الزهور، ج٤، ص٣٥٩.

(٣) عَكّا: مدينة وميناء على ساحل بلاد الشام، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها، وهي أول حدود فلسطين، ولها ثغر كبير ترسو عنده السفن المسافرة إلى أطراف القدس. (المهلبي: المسالك والممالك، ص١٠١؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٣٦٥).

(٤) المقريزي: السلوك، ج٢، ٢٢٣-٢٢٤؛ ج٤، ٢٩١-٢٩٢؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٣٣٧.

(٥) صَيْدا: مدينة على ساحل بحر الشام، وهي من أعمال دمشق شرقي مدينة صور، ولذلك يطلق يطلق عليها أحيانًا صيداء الصور. (البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٤٨؛ الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٤٣٧-٤٣٨).

(٦) المقريزي: المصدر السابق، ج١، ص٥١٢؛ السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٦م.؛ طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٦م، ص١٣٧-١٣٩.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق، ج١-ق١، ص٣٥٩.

المنصُور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)[١] بهدمها وتسويتها بالأرض وانشاء مدينة أخرى لطَرَابُلُس تقع بعيدًا عن الساحل، وأقام في الموضع الذي كانت تقوم عليه أطلال طَرَابُلُس القديمة عدد من الأبراج الدفاعية[٢].

تجدر الإشارة إلى أن ميناء طَرَابُلُس الشام كثيرًا ما تعرض لهجمات القبارصة ففي عام (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) نجحوا في مهاجمة ميناء طَرَابُلُس الشام ونزلوا من سفنهم إلى ساحل البلدة ونهبوا أسواقها[٣]، وفي سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠١م) هاجم الأمير تيمورلنك (٧٣٧- ٨٠٨ هـ /١٣٣٦-١٤٠٥م)[٤] بلاد الشَّام فخربها كلها وحرقها، وعمها بالقتل والنهب والأسر، حتى فقد منها جميع أنواع الحيوانات، وتفرق أهلها على البلدان المجاورة، وبعد رحيله عنها هاجمها الجراد الذي لم يترك بها أخضرًا فاشتد بها الغلاء[٥].

وأدى فتح القسطنطينية في عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) علي يد العثمانيين، وما تلاه من انهيار طرق التجارة البرية والبحرية من أسيا إلى أوروبا عبر البحر الأسود والأناضول إلى زيادة اعتماد التجار الأوروبيين علي الطرق التجارية المارة عبر سواحل مصر وبلاد الشَّام، فعمل سلاطين المماليك على انعاش التجارة وتشجيعها من خلال الإعفاءات التي منحوها للتجار الأوروبيين فسمحوا لهم بتجديد وكالاتهم وتوسيعها وانشاء المزيد من المصارف والفنادق وتعيين وكلاء لقِناصلهم داخل المرافق والموانئ للإشراف على حركة البيع والشراء وتحصيل الرسوم المفروضة

(١) السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م): هو الملك المنصور سيف الدين أبي المعالي قلاوون الألفي الصالحي النجمي، وكان أصله من مماليك الأمير آقسنقر الكاملي، وبويع بالخلافة بعد خلع الملك العادل سلامش، في سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ولقب بالملك المنصور، واستر بالسلطنة حتى وفاته سنة (٦٨٩ هـ /١٢٩٠م). (ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص٣٨-٤١).

(٢) السيد عبدالعزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٦م، ص٢٩٤.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١-ق٢، ص٦٤-٦٥؛ السيد عبدالعزيز سالم: المرجع السابق، ص٣٤٩.

(٤) تيمورلنك: هو تيمور بن ترغاي (٧٧٢-٨٠٨ هـ/١٣٧٠-١٤٠٥م)، وهو قائد مغولي، ومؤسس الإمبراطورية التيمورية في وسط آسيا، والتي استمرت حتى عام(٩١٢ هـ/ ١٥٠٦م. (ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج٥، ص٣٨٥؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج٢، ص١٢٣؛ وليد خالد: موسوعة أعلام الحرب والسياسة في التاريخ الإسلامي (معجم للأعلام من القادة والحكام المسلمين على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمن)، شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م، ص١٤٠-١٤١)

(٥) المقريزي: الخطط، ج٣، ص١٣٤.

على تجاراتهم، وقوبل تحرير عَكّا[١] في أوروبا بذهول نتج عنه ردة فعل عنيفة من قبل البابا وقادة أوروبا، وتمثلت في إصدار مجموعة من القرارات والمراسيم التي تحرم التجارة مع سلطنة المماليك[٢].

وخففت البابوية من قيود تحريم التعامل والمقاطعة مع الدول الإسلامية بعد أن شعرت أن التجار الأوروبيين قد حرموا من أسواق مهمة، وسمح لهم ذلك بالانفتاح التجاري على أسواق الشرق، وانتشر تجار المدن الإيطالية بصفة خاصة تجار جنوة والبندقية في موانئ الدولة المملوكية، مما ساهم في انتعاش أسواقها وازدهارها[٣].

رابعًا: المكوس والضرائب والإعفاءات الضريبية:

تعتبر المكوس (الضرائب الغير شرعية)، والضرائب من أبرز العوامل التي أثرت علي نشاط أسواق الموانئ، إذ تعين علي العاملين بالأسواق دفع الضرائب التي كانت تقررها الدولة على تجارتهم، وخاصة الضرائب الطارئة التي كانت الدولة تفرضها عليهم من آن لآخر ولأسباب متنوعة، ومثل هذا النوع من الضرائب كان يتزايد في الفترة التي تعاني فيها اقتصاديات البلاد من التدهور، مما كان يدفع الدولة لمحاولة البحث عن موارد جديدة لسد نفقاتها ومواجهة أعباء الأنفاق على الجيوش والعمليات العسكرية[٤].

فأوردت لنا المصادر أنه في عهد السلطان قنصوه الغوري (٩٠٦- ٩٢٢هـ /١٥٠١– ١٥١٦م) خيم الخراب على أسواق الموانئ المصرية، وضعفت حركة الصادر والوارد بها، وذلك نتيجة للتعسف والمبالغة في فرض الجبايات، فقلت السلع في أسواقها، وخاصَّة السلع الواردة إليها[٥]، كما أنه في عام (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) حينما احتاجت الدولة الملوكية لبعض الأموال قامت بفرض ضرائب جديدة، مما تسبب في ضرر شديد لأصحاب التجارة، وتعطلت حركة البيع والشراء في الأسواق وغلقت معظم الدكاكين بالأسواق المختلفة[٦].

وذكرت تلك المصادر الكثير من الأمثلة على تلك الضرائب والجبايات، والتي كانت تفرض على المتاجر والسلع والبضائع كبيع الغلال والفاكهة والملح، فضلًا عن

---

(١) عَكّا: مدينة وميناء على ساحل بلاد الشام، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها، وهي أول حدود فلسطين، ولها ثغر كبير ترسو عنده السفن المسافرة إلى أطراف القدس. (المهلبي: المسالك والممالك، ص١٠١؛ الإدريسي: نزهة المشتاق، مج١، ص٣٦٥).

(6) Boase ,T.S.R: Kingdom and strongholds of the crusaders,London,1971,P.215.

(٣) مفيد الزيدي: العصر المملوكي، دار اسامة للنشر، عمان، الاردن، ٢٠٠٩م، ص١٦٩-١٧٠؛ Hodgson ,F.G: Venice in the Thirteenth and Fourteenth Centuries,London,1972,P.380-382.

(٤) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ص٤٠-٤١.

(٥) جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دِمْيَاط، ص٥٠.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٤، ص١٦.

مصادرة أموال بعض التجار[١]، ومن تلك الأمثلة ما ذكر في أحداث سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) فوصف ابن إياس[٢] التعسف في فرض الجبايات بميناء الإسكندرية، مما أدى إلى افتقار أسواقها بعد انصراف الأجانب عنها تجنبًا لدفع المكوس الباهظة التي كان يفرضها سلاطين المماليك فقال: "إن بندر الإسكَنْدَرِيَّة خراب، ولم تدخل إليه القطائع في السنة الحالية... وكذلك من جهة دِمْيَاط..."؛ وكما حدث لميناء الإسكندرية حدث أيضًا لميناء دمياط حيث أصابه الخراب بسبب كثرة فرض المكوس، ففي أحداث سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) امتنع التجار الأجانب من الدخول إلى أسواق الميناء من كثرة المظالم وقلة وجود الأصناف التي كانت تجلب من البلاد الأجنبية[٣].

بلغ من كثرة الضرائب التي فرضها السلاطين في العصر المملوكي على التجارة الخارجية أن حمولة الفُلْفُل التي كانت تباع في أسواق الفُسْطَاط مقابل خمسين دينارًا نفسها كانت تباع في أسواق الإسكَنْدَرِيَّة للتجار الأوروبيين بثلاثة أمثال هذا الثمن، مما دفع التجار الأوروبيين وبخاصة البنادقة إلى رفع شكواهم للسلاطين أكثر من مرة[٤]، وكانت تلك الضرائب تدفع التجار إلى رفع الأسعار حتي تصل لعدة أضعاف أضعاف في بعض الأحيان، ودفعهم ذلك إلى الغش في الموازين والمكاييل رغبة منهم في تعويض الأموال التي دفعوها للدولة، فيتزايد الضغط على المستهلك العادي مما يدفعه إلى الاقتصار على شراء الضروريات فقط، ومن ثم تنكمش الأسواق من حيث حركتها ومن حيث حجمها وعددها[٥].

وفيما يخص الإعفاءات الضريبية حرص حكام مصر وبلاد الشَّام على إصدارها لبعض التجار دون غيرهم خاصَّة لتجار السلع الاستراتيجية مثل: الخشب اللازم لصناعة السفن، وكذلك المعادن والأسلحة؛ بالإضافة إلى الرقيق (المماليك) نظرًا لاستخدامهم في الجيش، فصدرت المراسيم السلطانية لإعفائهم من الرسوم والضرائب[٦]، وفي سنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م) أصدر السلطان الظاهر بيبرس أوامره

(١) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١٦؛ السيد عبدالعزيز سالم: طرابلس الشام، ص٣٥٦-٣٥٧.

(٢) ابن إياس: نفس المصدر، ج٤، ص٤٢٤.

(٣) ابن إياس: نفسه، ج٥، ص٩٠.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤١٨-٤١٩؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مِصْر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م، ص٣٠٥.

(٥) قاسم عبده قاسم: أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، ص٤٣-٤٤؛ نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصُور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٠٦.

(٦) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصُور الوسطى، تعريب أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩١م، ج٢، ص٣٥؛ خالد محمد السالم العمايرة: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، ص٢٧٤.

بإلغاء ما كان يؤخذ من رسوم البيع والشراء في الإسكَنْدَرِيَّة والبالغة ربع دينار عن كل قنطار، مما سهل وأنعش عمليات البيع والشراء في أسواقها(١).

وأصدر الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨-٧٤١هـ/ ١٢٩٩ -١٣٤١م) أوامره بإبطال الكثير من المكوس رغبة منه في تشجيع التجارة، فأبطل مكس نصف السمسرة(٢)، والذي كان يقرر على عمليات السمسرة التي تتم داخل أسواق الموانئ، وأبطل أيضًا الضرائب التي كانت تفرض على تجار العبيد والجواري، فشكر له الناس والتجار وملوك الدول الأخرى ذلك الصنيع(٣).

الخاتمة:

بعد توفيق من الله سبحانه وتعالي، وتيسيره لي في اتمام جمع المادة العلمية المتعلقة بالعوامل البشرية المؤثرة إيجابًا وسلبًا في نشاط أسواق الموانئ في مصر وبلاد الشَّام منذ قيام الدولة الفاطمية حتى نهاية الدولة المملوكية (٣٥٨- ٩٢٣هـ /٩٦٨ – ١٥١٧م)، كان لزامًا على الباحث تسجيل ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وأهمها ما يلي:

١- **أوضحت الدراسة** أهمية العوامل الطبيعية المؤثرة سلبًا وإيجابًا على نمو وازدهار أسواق الموانئ في مصر وبلاد الشَّام خلال فترة البحث.

٢- **ألقت الدراسة** الضوء على اهتمام السلطة الحاكمة بالموانئ وعمارتها وعمارة مرافقها وطرق التجارة منها وإليها، وتجدر الإشارة إلى أن اهتمام الإدارة الحاكمة بالموانئ وعمارتها وتسهيل وتمهيد طرق وصول القوافل والسفن التجارية إليها، كان من شانه أن يوثر بالإيجاب على حركة أسواق الموانئ بها، ويساعد على انتعاشها ويجذب إليها التجار للتبادل التجاري وممارسة عمليات البيع والشراء.

٣- **كشفت الدراسة** أن انعدام الأمن وقيام الفتن والثورات الداخلية، وذلك نتيجة لضعف السلطة الحاكمة وعدم قدرتها على السيطرة على شؤونها الداخلية في الكثير من الأحيان، قد شجع بعض العناصر الداخلية للقيام بأعمال السلب والنهب مستغلين الحالة التي تمر بها البلاد، مما أثر على نشاط أسواق الموانئ وحركة التجارة بها بصفة عامة.

---

(١) المقريزي: المصدر السابق،ج١، ص٥٦٠؛ ف. هايد: المرجع السابق، ج٢، ص٧٨.

(٢) السمسرة: وهي صفة للسَّمسَار الذي قام بالسمسرة، وهي كلمة فارسية الأصل معربة، والجمع سماسر، وهي وتعني التوسط بين البائع والمشتري لتسهيل عملية البيع، والسمسار يحصل على مبالغ مالية معينة من الطرفين البائع والمشتري نظير القيام بهذا العمل ويختلف تقديرها حسب حجم وسعر السلعة. (ابن منظور: لسان العرب، م٣، ج٢٤، ص٢٠٩٣؛ ممدوح محمد حسن: نظام السمسرة وأثره على النشاط التجاري في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد (٣٦)، يناير ٢٠١٠م، ص٢٢٨).

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، ج٩، ص٤٥-٤٩.

٤- **بينت الدراسة** تأثير الأوضاع السياسية على نشاط أسواق الموانئ، حيث تعتبر الأوضاع السياسية من أهم العوامل التي أثرت على نشاطها خلال فترة البحث، واتضح من خلال المصادر التاريخية أنه متى استتبت الأوضاع واستقرت حالة السلم ساعد ذلك على ازدهار حركتي التجارة والبيع والشراء داخل أسواقها، على عكس فترات الحروب والصراعات السياسية التي تؤثر بالسلب على حركة الأسواق ونشاطها، وذلك نتيجة لغياب الأمن والاستقرار، واللذان يمثلان أهم العناصر المؤثرة في نشاط الأسواق عامَّة.

٥- **أثبتت الدراسة** تأثير المكوس والضرائب والإعفاءات الضريبية علي نشاط أسواق الموانئ في مصر وبلاد الشام، إذ تعين علي العاملين بأسواق الموانئ دفع الضرائب التي كانت تقررها الدولة على تجارتهم، وخاصة الضرائب الطارئة، والتي كانت الدولة تفرضها عليهم من آن لآخر ولأسباب متنوعة، ومثل هذا النوع من الضرائب كان يتزايد في الفترة التي تعاني فيها اقتصاديات البلاد من التدهور، مما كان يدفع الدولة لمحاولة البحث عن موارد جديدة لسد نفقاتها ومواجهة أعباء الأنفاق على الجيوش والعمليات العسكرية، مما يسبب في نهاية المطاف تأثيرًا سلبيًا على نشاط تلك الأسواق، وفي المقابل عندما كنت الدولة تخفض الضرائب أو تقوم بإلغائها فينعكس ذلك إيجابًا على نشاطها وازدهارها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر العربية:

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (د.ت).

الإدريسي (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي الإدريسي ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م):

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: روبيناتشي، وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مجلدان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ/١٣٨٠م):

- رحلة بن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبدالهادي التازي، نشر أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، المغرب،١٩٩٧م.

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م):

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

ابن تغري بردي (جمال الدين يوسف بن سيف الدين بن تغري بردي الأتابكي ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبدالعزيز، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الجزء الثاني، ١٩٩٧م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الجزء التاسع، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير ت٦١٤هـ/١٢١٧م):
- رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.

الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الحميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦):
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):
- وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، ١٩٧١م؛ والجزء الخامس، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

الداوداري (أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الداوداري عاش في القرن ٨هـ/١٥م):
- كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، نشر المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦١م.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م):
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

السخاوي (أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):
- كتاب البلدانيات، تحقيق: حسام بن محمد القطان، دار العطاء، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ابن شاهين الظاهري (غرس الدين بن خليل الظاهري ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م):
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راوايس، المطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٢م.

ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م):
- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

عيني العيني (بدر الدين محمود العيني ت٨٥٥هـ/١٤٥١م):
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

القلقشندي (عبدالله بن أحمد القلقشندي ت٨٢١هـ/١٤١٨م):
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :
- البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

المقدسي (أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ١٩٠٦م.

المقريزي (تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.
- السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، المجلس الاعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حبقة بن منظور ت ٧١١هـ/١٣١١م):
- لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

المهلبي (الحسن بن أحمد المهلبي ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):
- الكتاب العزيزي (المسالك والممالك)، تحقيق: تيسير خلف، الطبعة الأولى، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٦م.

ناصر خسرو قبادياني (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامة، ترجمة: يحيى شامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

النويري (شهاب الدين أحمد بن محمد النويري ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):
- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلي فواز، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

جمال الدين الشيال (دكتور):
- مجمل تاريخ دِمْيَاط سياسيًا واقتصاديًا، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، بورسعيد، مصر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

خالد محمد السالم العمايرة (دكتور):

- موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٤م.

درويش النخيلي (دكتور):
- السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، ١٩٧٤م.

سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور):
- العصر المماليكي في مِصْر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.

السيد عبدالعزيز سالم (دكتور):
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢م.
- تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٦م.
- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٦م.

شوقي عبد القوي عثمان حبيب (دكتور):
- التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

عطية القوصي (دكتور):
- تجارة مِصْر في البحر الأحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

قاسم عبده قاسم (دكتور):
- أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨م.

مفيد الزيدي (دكتور):
- العصر المملوكي، دار اسامة للنشر، عمان، الاردن، ٢٠٠٩م.

نعوم بك شقير:
- تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

نعيم زكي فهمي (دكتور):
- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصُور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

هايد:
- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصُور الوسطى، تعريب أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩١م.

وليد خالد:
- موسوعة أعلام الحرب والسياسة في التاريخ الإسلامي (معجم للأعلام من القادة والحكام المسلمين على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمن)، شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م.

يوسف حسن غوانمة (دكتور):
- أَيْلَة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، الطبعة الثانية، وزارة الثقافية، الأردن، ٢٠١٦م.

ثالثًا: المجلات والدوريات:

سماح سمير شفيق بدوي:
- الأهمية التاريخية والاقتصادية لميناء دِمْيَاط القديم، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراء والمعرفة، العدد (٢٢٥)، ٢٠٢٠م.

عبدالغني عبدالعزيز زيادة (دكتور):
- ميناء عيذاب في العصر الوسيط ٤٦٠ - ٦٦٦ هـ / ١٠٥٧ - ١٢٦٧ م (دراسة في الجغرافية التاريخية)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٧٤)، الجزء السابع، ٢٠١٤م.

ممدوح محمد حسن (دكتور):
- نظام السمسرة وأثره على النشاط التجاري في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد (٣٦)، يناير ٢٠١٠م، ص٢٢٨).

رابعًا: المراجع الأجنبية:

Boase ,T.S.R: Kingdom and strongholds of the crusaders,London,1971.

Hodgson ,F.G: Venice in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, London, 1972.

Stanley Lane Pool: A History Of Egypt, London, 1925.